Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّةِ
Vol. 29/ No. 8/ 2021 المجلد 29/ العدد 8/ 2021

صُورَةُ الْمَدِينَةِ وَتَجَلِّيَاتُهَا فِي شِعْرِ بُشْرَى الْبُسْتَانِيِّ

نسيم مصطفى بني عودة

كليَّة الآداب قسم اللُّغة العربيَّة جامعة الخليل | فلسطين

nasimb@hebron.edu

تاريخ استلام البحث: 23/ 5 /2021 تاريخ قبول النشر: 2021/6/20 تاريخ نشر البحث:2021/8/5

المستخلص

لقد حظي الشعر العربيُّ عبرَ العصور باهتمام الدِّراساتِ النَّقديَّةِ والبلاغيَّةِ واللُّغويَّة- السَّطحيَّة والعميقة- لمكونَاته، من خلالِ سَبْرِ أغوارِه وطبقاته النَّصيَّة، تحليلاً فنيًّا إبداعيًّا، يخضعه لآليات نقديَّة وفكريَّة، تجعل منه إشكاليةً نقديَّةً تثيرُ تساؤلات كثيرةً عن مغزاه ومبناه، فهذه الدِّراسةُ تتناولُ صورةَ المدينةِ وتجلِيَّاتها(العراقيةَ والعربيَّةَ والتَّاريخيَّةَ) بكلِّ أبعادها – الفكريَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة – وفاعليَّتها وحركيَّتها في نصوص الشاعرة العراقيَّةِ **بشرى الْبُسْتَانِيِّ**، ولرصد هذه الفاعليَّةِ في فضائها الشِّعريِّ، ولاسيما أنَّ العراقَ قد مرَّ بثوراتٍ وحروبٍ كثيرة، غيّرتْ وجه المدينة وما حلَّ بها من خرابٍ ودمار؛ لذلك انعكست صورتُها على نفسيَّةِ شعراءِ العراق، من بينهم بشرى الْبُسْتَانِيّ، ووجدنَاهم عَبْرَ جدلياتٍ لغويَّةٍ فنيَّةٍ وجماليَّة؛ لذلك تهدفُ الدِّراسةُ للكَشْفِ عَنْ جماليَّاتِ تشكُّلِ المدينة وتجليَّاتها في الخطاب الشِّعريِّ، وتوقَّفتِ الدِّراسَةُ عندَ ثلاثةِ محاورَ رئيسة، هي:

المحور الأوَّل: المدينة العراقيَّة، المحور الثَّاني: المدينة العربيَّة، المحور الثَّالث: المدينة التَّاريخيَّة.

الكلماتُ الدالة: الشِّعر الحديث، المدينة، الفاعليَّة، الحركيَّة، التَّجليَّات، الانْسِجَام، بشرى الْبُسْتَانِيّ.

Image of the City and its Manifestations in Bushra Al-Bustani's Poetry

Nassim Mustafa Bani Odeh

Faculty of Arts, Department of Arabic Language, Hebron University\ Palestine

Abstract

Throughout the ages, Arabic poetry has received the attention of critical, rhetorical and linguistic studies - superficial and deep - for its components. This was manifested through probing its depths and layers of text in creative artistic analysis that subjects it to critical and intellectual mechanisms that make it a critical problem that raises many questions about its meaning and structure. This study deals with the image of the city and its manifestations (Iraqi, Arab and historical) in all its dimensions -intellectual, political and social- its effectiveness and dynamism in the texts of the Iraqi poet Bushra al-Bustani. It also aims at monitoring this activity in its poetic space, especially since Iraq has gone through many riches and wars, which have changed the face of the city along with the devastation and destruction that befell on it. Therefore, its image was reflected on the psyche and sentiment of Iraqi poets, such as Bushra al-Bustani through artistic and aesthetic linguistic arguments. Therefore, the study aims at revealing the aesthetics of the city's formation and its manifestations in poetic discourse. ***The study has dealt with three aspects:***

The first aspect: the Iraqi city

The second aspect: the Arab city

The third aspect: the historical city.

Keywords: Modern Poetry: the City, Effectiveness, Kinetic, Manifestations, Harmony, Bushra Al Bustani.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

مقدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ العربيِّ الأميِّ الأمينِ، وعلى آله الطيِّبينَ الطَّاهرينَ وصَحْبِهِ المُنْتَجبين، أمَّا بَعْدُ؛

فلقد حظي **الشِّعْرُ العربيُّ** عَبْرَ مَرِّ العصورِ بالاهتمَامِ بالدِّراسَاتِ النَّقديَّةِ والبَلاغيَّةِ واللُّغويَّةِ والأسلوبيَّة– السَّطحيةِ والعميقَةِ – بمكوِّنَاته اللُّغويَّة، مِنْ خلالِ سَبْرِ أغوارِهِ وطبقَاته النَّصيَّة، تَحْليلاً فنِّيًّا إبداعيًّا قائمًا على آلياتٍ وأدواتٍ نقديَّةٍ وفكريَّةٍ، تجعلُ منْهُ إشكاليَّةً نقديَّةً تُثيرُ تساؤلاتٍ كثيرةً عَنْ مغزَاهُ ومبنَاهُ وأسلوبِه، دَفَعَ النُّقَادَ إلى قراءَته.

ويتكوَّنُ **العملُ الأدبيُّ** ويُخْلَقُ في ظلِّ تفاعلِ الأديبِ مَعَ محصِّلاتِهِ الفكريَّةِ والثَّقافيَّةِ والشِّعْريَّةِ والاجتمَاعيَّةِ والسِّيَاسيَّةِ الَّتي تَخْلقُ الاندماجَ مَعَ المجتمعِ الَّذي يعيشُ فيه سواءٌ بانسجامِهِ أو تنافرُهِ معَه، فالشَّاعرُ يُعَبِّرُ عن طموحاته وآلامِه وآمَاله (فردًا وجماعَةً فهو لسانُ حالِ الأمَّة)؛ فالأديبُ يخلق فضاءً شعريًّا خاصًّا به، على حد تعبيرِ سارتَر "إنَّ مهمَّةَ الشِّعْرِ تتمثَّلُ بِخَلْقِ أسطورَةِ الإنْسَان". [1،ص48].

وتهدفُ هذه الدراسةُ للوقوفِ على صورةِ المدينةِ وتجليَّاتِهَا (العراقيَّةِ والعربيَّةِ والتَّاريخيَّة) بكلِّ أبعادِهَا – الفكريَّة والسِّيَاسيَّة والاجتماعيَّة–وفاعليَّتِهَا وحركيَّتِهَا في نصوصِ الشَّاعرِ العراقيَّةِ بشرى الْبُسْتَانيّ، ولِرَصْدِ هذه الفاعليَّةِ وتجليَّاتِهَا في فضائِهَا الشِّعْريِّ، ولا سيَّمَا أنَّ العراق مَرَّ– عَبْرَ تاريخِهِ – بثَوْرَاتٍ وحروبٍ كثيرةٍ، غيَّرتْ وجْهَ المدينَةِ ومَا حلَّ بها مِنْ خرابٍ ودَمَار؛ لذلك انعكستْ صورتُهَا على نفسيَّةِ شعراءِ العِرَاق (السيّاب، والبياتيّ، والحيدريِّ وغيرِهم) والشاعرةِ بشرى الْبُسْتَانيّ، عَبْرَ جدليَّاتٍ لغويَّةٍ وفنيَّة، فرؤيةُ الأديبِ وتعامُلُه مع المَدينةِ هو الَّذي يُظْهِرُ الفاعليَّةَ الحركيَّةَ، ولا يمْكِنُ أنْ تتشَكَّلَ المدينةُ إلَّا مِنْ خلالِ تَشَكُّلِ المَكَان " فعمليَّةُ تشكيلِ المكَانِ تاليةٌ ومنبثقةٌ عن المَوْقفِ الفِكْرِيِّ والوجْدَانيِّ للفَنَان" [2،ص63]، تجاه المدينة بوصْفِهَا فَضَاءً مفتوحًا "فشعريَّةُ المَدينَة هي امتدادٌ لشعريَّةِ المكَانِ، هذا المكانُ الَّذي يشكِّله الخيالُ ويبنيه في اللُّغَةِ على نحوٍ يتجاوَزُ حدودَ الواقعِ الفعليِّ، وليسَ المكانُ الفنيُّ أبعادًا هندسيَّةً وحسيَّةً خارجيَّةً؛ إنَّمَا صورةٌ جماليَّةٌ تُبْدِعُهَا الذَّاتُ وتضفي عليها مِنْ ذاكرَتِها الحضاريَّة – التَّاريخية أبعادًا لا نهائيَّة" [3،ص5].

تشيرُ **معجماتُ اللُّغَة العربيَّة** إلى أنَّ معنى **مَدَنَ**، مَدَنَ بالمكان، أقامَ به، وفلانٌ مدَّنَ المَدَائنَ: كَمَا يُقَالُ مَصَّرَ الأمصارَ، والمدينةُ: الحصْنُ يُبْنَى في أصْطِمَةِ الأرضِ، وكُلُّ أرضٍ يُبنَى بِهَا حِصْنٌ في أَصْطِمَتِها فَهِيَ مدينةٌ، والنِّسبَةُ إِلَيْهَا مَدِيْنِي، ومَدَّنَ المَدَائنَ تَمْدِيْنًا، أيْ مَصَّرَها، والجمْعُ مدائنُ ومُدُنٌ [4، مادة مَدَنَ، 5، مادة مَدَنَ]. إذًا هي المَكَانُ الَّذي قَامَ فيه العمْرَانُ الثَّابتُ، الَّذي يَعْكِسُ وَجْهَ الحَضَارَةِ والرُّقِيِّ، عَكْسَ الرِّيفِ والبَادِيَةِ، اللَّذان يمتَازَانِ بالتَّنَقُّلِ والحَرَكَة، وَأقلُّ مِنَ المدينَةِ جمالًا وإبداعًا وتنظيمًا.

أمَّا في **الاصْطِلَاح**، فقدْ أجمعَ الدَّارسونَ عَلَى تعريفِهَا: بِأَنَّهَا تجمعٌ سكانيٌّ كبيرٌ – مقارنةً بالرِّيف– تميَّزَ بحضارَتِهِ الرَّاقيَةِ وعمْرَانِهِ المُمَيَّز، وتَوَفُّرِ الخدمات كافَّةً فيها، وتُمسكُ بزمامِ المبادئِ الاقتصاديَّةِ والسِّياسيَّةِ والثقافيَّةِ وتضبطُهَا، فهي مِنْ سِمَاتِ العَصْرِ والتَّحَضُّرِ[6،ص134، 7،ص34، 8،ص28]، فالمدينةُ هي العلامةُ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الَّتي تدلُّ على التَّقدُّمِ الحضاريِّ أو الأيديولوجيِّ، وهي الوعاء الَّذي يستَغلُّهُ الشُّعَرَاءُ؛ لتصويرِ حالةِ التَّمَزُّقِ والضَّيَاعِ والتَّفَرُّقِ، ويجعلُهُ إطارًا لفلسفتِه ورؤيَاه اتِّجاهها [9،ص129].

وتُعدُّ **المدينةُ** منَ القَضَايَا الشِّعْرِيَّةِ الَّتي كَثُرَتْ في الشِّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ؛ لَأنَّ الشَّاعرَ الحديثَ نظرَ إليْهَا بوصْفِهَا تَحْمِلُ ثنائيات ضدِّيَّةً، تثيرُ فيه (القَلَقَ، والخَوْفَ، والأَمْنَ، والاضْطِرَابَ، والحَيْرَةَ، والتَّرَدُّدَ، والشَّرَّ، والخَيْرَ...)، فَهِيَ موطنٌ لاخْتِلَالِ العلاقاتِ الإنْسَانيَّةِ فيها ومَعَهَا؛ فرؤيَةُ بشرَى الْبُسْتَانيّ المدينةَ يَنْبَثِقُ منْ حَرَكَةِ القِيَمِ المستمِرَّةِ، وأنماطِ الحياةِ المتغيِّرَةِ الَّتي شَدَّتْهَا المُدُنُ العراقيَّةُ، وانعكَسَتْ عَلَى نَفْسِيَّتِهَا، فَهِيَ تشكِّلُ عُمْقًا لحركَةِ الوُجُودِ الدَّاخليِّ لَهَا، ولم تقفْ مَوْقفَ عَدَاءٍ تُجَاهَ مدينَتِهَا، بَعْدَمَا تَقَلَّبَتْ الأحْوَالُ والظُّرُوفُ عَلَى العِرَاقِ، فَهِيَ تَتَحَسَّرُ وَتَتَوَجَّعُ وَتَتَأَلَّمُ عَلَى مَا أَصَابَهَا، فهيَ في حالةِ رثاءٍ للمدينَةِ منْ جَانبٍ، وافتخارٍ وتَمْجِيدٍ لَهَا، ولَا سيَّمَا أَنَّ العِرَاقَ مَنْ عَلَّمَ الإنسانيَّةَ الحَرْفَ، وهو منبعُ الإشْعَاعِ الحضاريِّ والعلميِّ.

ويكثُرُ في شعرِ **بشرَى الْبُسْتَانيّ** دالُ المدينَةِ بأنْوَاعِهَا المختَلِفَةِ؛ لذلك تقومُ هذه الدِّراسةُ على ثلاثةِ محاورَ رَئيسَةٍ، وَهِيَ:

المحور الأوّل: المَدينة العراقيَّة.

المحور الثَّاني: المدينة العربيَّة.

المحور الثَّالث: المَدينَة التاريخيَّة.

وتعدُّ المدينَةُ في الشِّعْرِ العربيِّ الحديثِ رمزًا للحضارَةِ المتقدِّمَةِ الَّتي فُقِدَتْ في الرِّيفِ؛ لذلك لَمْ ينظرْ إليها الشَّاعرُ العربيُّ نظرةَ عداءٍ مُطْلَقٍ؛ وإنَّمَا شَكَّلَتْ رؤيةً نفسيَّةً، لكلِّ شاعرٍ عَبْرَ الألفَةِ والعَدَاءِ [10،ص359 وما بعدها]، وإذَا كانَتِ المدينةُ تمثِّلُ صورةَ الحضَارَةِ المتطوِّرَةِ والمتغيِّرَةِ على وَفْقِ الزَّمَنِ، فإنَّ الشَّاعرَ الحديثَ " يحدِّدُ المدينَةَ الَّتي يتحدَّثُ عنْهَا باسْمِهَا – غَالبًا – فهي بغدادُ أو بيروتُ أو دمَشْقُ أو القَاهِرَةُ، ولا يتحدَّثُ عنِ المَدِينَةِ بإطلاقٍ إلا نَادِرًا" [9،ص114]، فبشرَى الْبُسْتَانيّ تذكَّرَ المَدِينَةَ، المُدُنَ بأسمائها وصفَاتِهَا وأحدَاثِهَا.

المحور الأوَّل: المدينة العراقيَّة

وتظهَرُ المدينَةُ في شعرِ بشرَى الْبُسْتَانيّ بدرجاتٍ متفاوِتَةٍ، فهي (بغدادُ، والبصرةُ، والمَوْصِلُ، وبابلُ، و...)، إذْ تشكِّلُ ظاهرةً فنيَّةً تستَحِقُّ الدِّرَاسَةَ والوُقُوفَ عِنْدَهَا؛ لاستجلاءِ مضَامِينِهَا ودَلالاتِهَا في السِّيَاقِ الشِّعْرِيِّ، وتَجَلِّيَاتِهَا وحركِيَّتِهَا الَّتي تعبِّرُ عَنْ وِجْدَانِ الشَّاعرِ اتِّجَاهَهَا.

وتشكِّلُ مدينةُ **بغدادَ** عندَ الشَّاعرَةِ منارةَ التَّاريخِ والحَضَارَةِ عَبْرَ العُصُورِ، فَهِيَ دَالٌ يتكَرَّرُ في شِعْرِهَا – (ثلاثين مرَّةً) –تُوحي بالأَمْنِ والأَمَانِ، حينمَا يَسْتَرِيحُ الزَّمَانُ على تُرَابِهَا، فَهِيَ الحَضَارَةُ الَّتي علَّمَتِ الإنْسَانيَّةُ الكِتَابَةَ،هِيَ المَاضِي والحَاضِرُ والمُسْتَقْبَلُ، هِيَ جدليَّةُ المَكَانِ والزَّمَانِ، تَتَجَلَّى في أبْهَى صُوَرِهَا التَّاريخِيَّةِ والحَضَارِيَّةِ:

وَبَغْدَادُ شَامَةُ كُلِّ الْعُصُورِ
عَلَى كَتِفَيْهَا رِيَاشُ الْحَضَارَاتِ مُرْبِكَةٌ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وَبَغْدَادُ دِفْءُ الْعُصُورِ يُدَثِّرُهَا
وَعَلَى جِيدِهَا يَسْتَرِيحُ الزَّمَانُ قَلَائِدَ تَمْرٍ
وَأَسْوِرَةُ الأُرْجُوَانِ عَلَى سَاعِدَيْهَا
قَلَّمَا خَطَّطَ الْكَوْنُ فِي بَدْئِهِ [11،ص135–136].

فَهِيَ صُورةٌ مُشْرِقَةٌ لِلْمَدِينَةِ وَحَالَةٌ مِنَ الأُلْفَةِ تُشِعُّ فِي أَعْمَاقِ الشَّاعِرَةِ (شَامَة، رِيَاش الحَضَارَات، دِفْءُ العُصُور، الأُرْجُوَان، قَلَّمَا...)، فَهِيَ عَصِيَّةٌ عَلَى الأَعْدَاءِ، صَخْرَةٌ تُقَاوِمُ وَجْهَ الرِّيحِ، أَمَامَ تَتَارِ الْيَوْمِ وَالأَمْسِ، فَهِيَ تَخْلُقُ جَدَلِيَّةً زَمَانِيَّةً بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْمَاضِي، وَمَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ (أَكْتُبُ) عَبْرَ الإِسْقَاطِ التَّالِيِّ:

وَأَكْتُبُ فَوْقَ صُخُورِ الْعِرَاقِ
أُحِبُّكَ
وَأَكْتُبُ لَا أَشْتَرِي غَيْرَ هَذَا الْعَذَابِ
وَسَفَرًا يُقَاوِمُ. [11،ص137]

تُوحِي الدَّوَالُ الشِّعْرِيَّةُ بِمَدَى أُلْفَةِ الشَّاعِرَةِ وَانْسِجَامِهَا مَعَ مَدِينَتِهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ (هَذَا العَذَاب) الَّذِي حَلَّ بِالمَدِينَة، وَلا تَفِرُّ مِنْهَا، مَعَ ذَلِكَ يَأْتِي الجَوَابُ سَرِيعًا (أُحِبُّكَ) ، فَإِنَّ تَجْرِبَةَ الشَّاعِرَةِ مَعَ بَغْدَادَ المُتَمَثِّلَةِ فِي سَنَوَاتِ دِرَاسَتِهَا فِي جَامِعَةِ بَغْدَادَ، حِينَمَا تَتَنَفَّسُ عَبَقَ تَارِيخِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ، جَعَلَهَا تَتَحَسَّرُ عَلَى مَاضِيهَا، فَهَذَا الحَشْدُ مِنَ الأَلْفَاظِ الوِجْدَانِيَّةِ (قَلْبِي، حُبِّي، الْحُب، حَبِيبَة قَلْبِي، شَوْق، قَلْبُك، أُحِبُّك...) [1،ص133–137] تُمِدُّ النَّصَّ بِطَاقَاتٍ إِيحَائِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ تَكْثِيفِ اللَّحْظَةِ الانْفِعَالِيَّةِ وَالجَمَالِيَّةِ، فَبَغْدَادُ تَسْتَنْفِرُ الطَّاقَاتِ الفَنِّيَّةَ وَالمَعْنَوِيَّةَ عِنْدَ الشَّاعِرَةِ بِوَصْفِهَا دِفْءَ العُصُورِ [12،ص54].

وَلَم تَقِفْ بُشْرَى الْبُسْتَانِيّ مَوْقِفَ عِدَاءٍ تُجَاهَ مَدِينَتِهَا / **بَغْدَادَ/الْعِرَاق**، بَعْدَمَا عَاثَ فِيهَا الطَّامِعُونَ دَمَارًا وَخَرَابًا...، لَكِنَّهَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظْرَةَ تَحَسُّرٍ وَتَوَجُّعٍ وَتَأَلُّمٍ عَلَى مَا أَصَابَهَا، فَهِيَ فِي حَالَةِ رِثَاءٍ لِلْمَدِينَة، وَتَرَى أَنَّ غَدَ المَدِينَةِ يَنْبَثِقُ مِمَّا تَرَاهُ فِيهَا مِنْ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، بِاسْتِشْرَافِ الْمُسْتَقْبَلِ لِهَذِهِ المَدِينَة، سَتَخْرُجُ كَالْعَنْقَاءِ، فَتَصِفُ أَعْدَاءَ الْعِرَاقِ الْمُكَبَّلِ بِالثَّعَالِبِ الَّذِينَ حَرَمُوهُ المَاءَ وَالدَّوَاءَ وَالْهَوَاءَ، وَاصِفَةً إِيَّاهُمْ بِالثَّعَالِبِ مَكْرًا وَدَهَاءً، لَكِنَّ الشَّاعِرَةَ يَحْدُوهَا الأَمَلُ بِعَوْدَةِ الْعِرَاقِ وَنَهْضَتِهِ:

الخَامُ مَمْنُوعٌ بِأَمْرٍ مِنْ نَوَاطِيرِ الْحَضَارَةِ.
مِنْ ثَعْلَبِهَا
سَتَنْهَضُ دَوْحَةُ الْبُسْتَانِ
تَذْهَبُ لِلْجِنَانِ بِلَا كَفَنٍ
لَكِنَّ فَجْرَكَ آفِلٌ
وَالرِّيحُ تَحْصِبُ بِاللَّهِيبِ زَمَانَكَ الآتِي
سَتَنْطَفِئِينَ أَمْرِيكَا
سَتَنْطَفِئِينَ. [11،ص284]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فصورةُ المدينَةِ طَغَتْ عليها الصُّورَةُ السَّوداويَّةُ، وتوحي الدّوالُ الشِّعريَّةُ بأنَّ نهضةَ المدينةِ ستعودُ قريبًا، وممَّا زادَ في هذه السَّوداويَّةِ دلَالُ (نواطيرَ الحضارة، ثعلبُها)، ففي هذا الاستحضارِ تتجلَّى صورةُ (كافورِ المُتَنَبِّي في مصر) [13،ص ج102/2]، وتَكْرَارُ مَا فِي هذا الزَّمَانِ ولا سيَّمَا الدَّاخِلِيُّ، فضلاً عَنْ تَكْرَارِ حَرْفِ السِّينِ الَّذي يؤكِّدُ عَوْدَةَ المَدِينَةِ؛ لذلك "فَأَهميَّةُ المدينَةِ لَمْ تكنْ نابعَةً مِنْ كَوْنِهَا إطارًا مكانيًّا لما يجيشُ بِهِ المجتَمَعُ مِنْ حركةٍ وتشكُّلٍ مستمرٍّ للقيَمِ وأنماطِ الحيَاة، بَلْ باعتبَارِهَا عُمْقًا لهذه الحركةِ وَهَذَا التَّشَكُّلُ" [14،ص 163] على اعتبارِ أنَّ المَدِينةَ هي مكانٌ تلتقي فيهِ وتَتَشَكَّلُ كُلُّ المُتَنَاقِضَاتِ، ما بَيْنَ الثَّوْرَةِ وَالقَمْعِ، فهيَ تُمَثِّلُ المَرْكَزَ السِّيَاسِيَّ:

سعفُ بَغْدَادَ يُظِلُّ الفَلَوَاتِ
وَجْهُ بَغْدَادَ وَحِيدًا يَذْرَعُ الدَّرْبَ
وَجْهُ بَغْدَادَ يُشْرِعُ الْحُزْنَ،
وَبَغْدَادُ عَلَى الشَّطِّ تَصِيرُ اثْنَيْنِ
بَغْدَادُ تَصِيرُ الرَّبْوَةَ المُشْرِعَةَ الرَّايَاتِ
فَوْقَ الْبَحْرِ
بَغْدَادُ مَنَارَةٌ
وَأَنَا أَهْجُرُ بَغْدَادَ عَلَى جُنَحِ بِشَارَةِ. [11،ص528-529]

إنَّ الأحداثَ الَّتي حلَّتْ **ببغداد** – والمدينةِ العراقيَّةِ على نحوٍ عامٍ –، أضفَتْ سوداويَّةً على المَكَانِ، فحديثُ الْبُسْتَانِيّ عن المَدِينَةِ يتمثَّلُ في تَجْسِيدِ حَالَةِ الوصالِ الَّذي تلاشَى، فغَابَتْ ملامحُ هَذِهِ المَدِينَةِ عَنْ ناظِرَيْهَا (وجه بغداد يشرع الحزن)، وتُحَاوِلُ أنْ تستعيدَهَا في الحُلُمِ؛ لتُعَبِّرَ عنها بألفاظٍ تُوحي بمَدَى حالةِ الضِّيقِ (وأنا أهجر بغداد) وَالْخَوْفِ على المدينة، (بغداد على الشَّطِّ تصيرُ اثْنَيْنِ).

وحينما تُصْبِحُ **البصرةُ** رمزًا للعزَّةِ وَالكِبْرِيَاءِ والفِدَاءِ والتَّضْحِيَةِ والجَمَالِ، والوُجُودِ، تُطِلُّ علينَا بـــ (أيَا خمريَّةَ الوَجَنَاتِ يَا بَصرَة)، وتَكْرَارُ العِبَارَةِ الشِّعْرِيَّةِ – ولَا سيَّمَا فِي خَاتِمَةِ القَصِيدَةِ بِوَصْفِهَا قُفْلاً دَلَالِيًّا تُؤَكِّدُ فكرةَ جَمَالِ المَدِينَةِ وَصُمُودِهَا:

صَامِدَةٌ وَحَقِّ النَّخْلِ وَالْوَعْدِ
وَحَقِّ أَبِي الْخَصِيبِ وَهَيْبَةِ الْجُنْدِ
وَحَقِّ هَوَاكَ أُكَتِّمُ مِنْهُ أَضْعَافَ
الَّذِي أُبْدِي.....
لَا أُعْطِي الْعِرَاقَ بِجَنَّةِ الْخُلْدِ...
أَيَا خَمْرِيَّةَ الْوَجَنَاتِ يَا بَصْرَة
يَا عَرَبِيَّةَ اللَّفَتَاتِ وَالْغَمْزَاتِ. [11،ص471-472]

تَتَعَانَقُ الدَّوالُ الشِّعْرِيَّةُ عَبْرَ شَبَكَةِ العَلَاقَاتِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لتُشَكِّلَ فضاءً شعريًّا يُوحي بِدَلَالَاتٍ شَتَّى، ولَا سيَّمَا الْبُعْدَانِ: الْوَطَنِيُّ وَالْقَوْمِيُّ، (البصرة، والعراق، وأبي الخصيب، والنَّخل...)، فَضْلاً عَنِ الْبُعْدِ الحَضَارِيِّ وَالتُّرَاثِيِّ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

(يَا عَرَبِيَّةَ اللَّفْتَات)، فَهِي عَرِبِيَّةُ الْوُجُود، فَتَكْرَارُ دَالِ (الْبَصْرَة) ثَلَاث مَرَّات وَاقْتِرَانُهَا مَعَ أَبِي الْخَصِيب يُوحِي بِأَهَمِّيَّةِ هَذِه الْمَدِينَة وَرِفْعَتِهَا وَوُجُودِهَا فِي ذَاتِ الشَّاعِرَة، وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ عِنْوَانَ الْقَصِيدَة **(الْبَصْرَة)**، وَمَا يُشَكِّلُهُ الْعُنْوَانُ مِنْ فَاعِلِيَّةٍ دَلَالِيَّةٍ فِي الْمَرْجِعِيَّاتِ اللُّغَوِيَّة؛ ذَلِكَ أَنَّ الْعُنْوَانَ هُوَ رِسَالَةٌ لُغَوِيَّةٌ مُسَنَّنَةٌ بِشِفْرَةٍ لُغَوِيَّة، يُفَكِّكُهَا الْمُسْتَقْبَلُ وَيُؤَوِّلُهَا، وَهُوَ يُكَثِّفُ الدَّلَالَات [15،ص96-101]. فَالْبَصْرَةُ تَحْفِرُ أُخْدُودًا فِي وِجْدَانِنَا عَلَى حَدِّ قَوْلِ بَاشلار [16،ص52]، فَهِيَ تَسْكُنُ فِينَا؛ لِذَلِكَ اتَّسَعَتْ رُؤْيَةُ الشَّاعِرَةِ لِلْمَدِينَة؛ لِتَرْبِطَهَا مَعَ مَدِينَةٍ أُخْرَى:

وَرِجَالُك الآتِينَ يَنْتَشِلُونَ
وَجْهَ الْقُدْسِ،
مِنْ غَيْرِ الْعِرَاقِ يَضُمُّ وَجْهَ الْقُدْسِ. [11،ص472]

تَسْتَحْضِرُ الشَّاعِرَةُ أَلْفَاظًا شِعْرِيَّةً، لِتُعَبِّرَ عَنْ وِجْدَانِهَا؛ فَحَرَكِيَّةُ الْأَلْفَاظِ تُوحِي بِمَدَى ارْتِبَاطِهَا وَتَوَحُّدِهَا مَعَ الْمَدِينَة، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كَمَا يَقُولُ الْجُرْجَانِيُّ، " فَالْأَلْفَاظُ لَا تُرَادُ لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا لِتَجْعَلَ أَدِلَّةً عَلَى الْمَعَانِي" [17،ص456]، أَعْطَتِ النَّصَّ حَالَةً شِعْرِيَّةً، مِنَ الاعْتِزَازِ بِالْبَصْرَة، فَتَعَانُقُ الْأَلْفَاظِ وَتَدَاخُلُهَا فِي شَبَكَةِ الْعَلَاقَاتِ النَّصِّيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ يُوحِي بِالْحَالَةِ الْوِجْدَانِيَّةِ تُجَاهَ الْمَدِينَة، فَضْلاً عَنْ رَبْطِهَا بِالْقُدْسِ، وَإِضْفَاءِ مَلَامِحِ الْقَدَاسَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّة، وَهُنَا تَكْمُنُ مَزِيَّةُ الأَلْفَاظِ بِـــ" الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ الَّتِي هِيَ أَوْضَاعُ اللُّغَةِ لَمْ تُوضَعْ لِتُعْرَفَ مَعَانِيهَا فِي أَنْفُسِهَا، وَلَكِنْ لِأَنْ يُضَمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْض، فَيُعْرَفَ فِيمَا بَيْنَهَا مِنْ فَوَائِدَ" [17،ص539]، وَتَكْمُنُ فِي هَذِهِ الدَّوَالِ الشِّعْرِيَّةِ تَجَلِّيَّاتُ الْإِبْدَاعِ الشِّعْرِيِّ عِنْدَ الْبُسْتَانِيّ فِي الرَّبْطِ بَيْنَ الْمُتَبَاعِدَات، وَفِي صِيَاغَةِ الْعَالَمِ الشِّعْرِيِّ، وَبِنَاءِ مَدِينَةٍ فَاضِلَةٍ وَفْقَ رُؤْيَتِهَا، بِأَبْعَادٍ هَنْدَسِيَّةٍ وَفِكْرِيَّة (أَبُو الخَصِيب ثَلَاث مَرَّات، وَشَط العَرَب ثلاث مرَّات، والسَّيَّاب، ثَلَاث مرَّات...).

وفي قصيدة **(أُقَبِّلُ كَفَّ الْعِرَاقِ)**، تَتَشَابَكُ الْمُدُنُ العراقيَّةُ وتَتَدَاخَل، مِنْ شمَالِه إِلَى جَنُوبِه، وتذُوبُ فِي لفظِ العِرَاقِ، عَبْرَ تِقْنِيَّةِ التَّشْخِيص:

لأَنَّ الَّذِينَ احْتَوَى قَلْبُهُمْ بَاسِقَاتُ الْعِرَاقِ
فَرَوَّوْا صَدَاهُ دَمًا
ثُمَّ غَابُوا
يَجِيئُونَ كُلَّ مَسَاءٍ لِسَرْحَةِ قَلْبِي
يُدَثِّرُهُمْ دِفْءُ حُبِّي... [11، ص455]

على الرَّغْمِ مِنْ كلِّ الجراحاتِ والألَمِ الَّتِي يُعَانِي منها العِرَاق، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَةَ تعدُّ هذا المكَانَ (العِرَاق) الأَمَلَ وَالوُجُودَ والحيَاةَ الَّتِي تَنْعَمُ فيه بالأَمَانِ والدِّفءِ على تُرَابِه، وهي تشترِكُ فِي هذه الرؤيَةِ مَعَ السَّيَّابِ حينَمَا عَدَّ أَنّ الظَّلَامَ جميلٌ؛ لأَنَّه يحتَضِنُ العِرَاقَ، فَضْلاً عمَّا تؤدِّيه الدّوالُ الشِّعْرِيَّة (أُقَبِّلُ، أُسرّحَ، أَضمُّ) من فاعليَّةٍ وحركيَّة:

أُقَبِّلُ كَفَّ الْعِرَاق
أُسَرِّحُ شَعْرَ الْعِرَاق
أَضُمُّ هَوَاهُ بِقَلْبِي، وَأُشْعِلُ نَارِي [11، ص457]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فَجمَعَتْ الشَّاعِرَةُ بَيْنَ المُتَنَاقِضَاتِ (الحزن والألم – مقابل الفرح والسُّرور)، في انْسِجَامٍ تَامٍّ مَعَ العِرَاقِ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ إيقَاعٍ صَوْتِيٍّ خَفِيف في اسْتِمْرَارِيَّةِ الْحَدَثِ فِي الأَفْعَالِ الْمُضَارِعَةِ (أَقْبِلُ الآنَ وَغَدًا، وَأَسْرَحُ الآنَ وَغَدًا، مَا دُمْتُ حَيًّا) وَتَأْتِي الإِجَابَةُ مُبَاشَرَةً وَسَرِيعَةً؛ لِبَيَانِ حَالَةِ التَّوَحُّدِ مَعَ المَدِينَةِ (لأَنَّكَ أَنْتَ الْعِرَاق).

وَحِينَ يُصْبِحُ **العِرَاقُ** وَطَنًا ضَائِعًا تضيقُ العِبَارَةُ وتتكمشُ الأَبْعَادُ الهَنْدَسِيَّةُ لهذَا المكانِ المُمْتَدِّ إِلَى حَيِّزٍ ضَيِّقٍ، يعكسُ الحَالَةَ الوِجْدَانِيَّةَ للشَّاعِرَةِ(فردًا وجماعَةً)، كَمَا فِي قَوْلِهَا:

خُذِي العِرَاقَ بَيْنَ ذِرَاعَيْكِ
كَيْ يَغْفُوَ أَطْفَالُهُ الْجَائِعُونَ
وَامْسَحِي عَنْ وَجْهِهِ غُبَارَ الْحَرَائِقِ
كَيْ يَتَوَاصَلَ الْهَدِيل. [11،ص34]

فالحالةُ الشُّعُوريَّةُ هِيَ جَذْوَةُ العَمَلِ الشِّعْرِيِّ، فَالنَّصُّ المُكْتَمِلُ شِعْرِيًّا هُو الَّذِي يَمْتَلِكُ شَاعِرِيَّةً إِبْدَاعِيَّةً عَالِيَةً فِي الأَدَاءِ اللُّغَوِيِّ، والرَّبْطُ المُحْكَمُ بَيْنَ الأَلْفَاظِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْعَلَائِقِ الْخَارِجِيَّةِ رَبْطًا مَنْطِقِيًّا، وَتَمَاسُكًا فَنِّيًّا [18، ص63]، إِنَّ لُغَةَ الشَّاعِرَةِ الْفَنِّيَّةَ تَعْمَلُ عَلَى الْتِقَاطِ الْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَحْسُوسَاتِ، وَإِعَادَةِ صَهْرِهَا فِي بَوْتَقَةِ النَّصِّ فِي قَوَالِبَ فَنِّيَّةٍ جَدِيدَةٍ، مُتَجَاوِزَةً الْوَصْفَ الْخَارِجِيَّ لِلْمَدِينَةِ لِلدُّخُولِ فِي أَعْمَاقِهَا، وَبَيَانِ حَالَةِ الْمَدِينَةِ العِرَاقِيَّةِ وَمَا تُعَانِيهِ، فَتَحْضُرُ الْمُدُنِ العِرَاقِيَّةِ الأُخْرَى، لِتُشَكِّلَ فَضَاءَ الْمَدِينَةِ الْعَامَّ، مِثْل: (الكوفة، والمَوْصِل، وذِي قَار، وبَابِل... غيرهَا) [11،ص246، 129، 290، 111، 369، 370]، وَنَظَرًا لِمَحْدُودِيَّةِ الدِّرَاسَةِ نُشِيرُ إِلَيْهَا– فَقَطْ – بِحُضُورِهَا فِي نُصُوصِ بُشْرَى الْبُسْتَانِيّ.

المحْوَرُ الثَّانِي: الْمَدِينَةُ الْعَرَبِيَّةُ:

وَتُشَكِّلُ الْمَدِينَةُ الْعَرَبِيَّةُ الامْتِدَادَ الْحَضَارِيَّ وَالْوُجُودِيَّ وَالْقَوْمِيَّ لِلْمَدِينَةِ الْعِرَاقِيَّةِ، وَلَا تَخْتَلِفُ إِلَّا فِي الرُّؤْيَةِ إِلَيْهَا، فَحُضُورُهَا فِي شِعْرِ بُشْرَى الْبُسْتَانِيّ يُمَثِّلُ حَالَةَ التَّوَحُّدِ والانْدِمَاجِ مَعَ النِّصْفِ الْآخَرِ، وَبِمَا تُشَكِّلُهُ فِي الذَّاكِرَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَبْعَادٍ فِكْرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ، وَبِمَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنْ عَلَامَاتٍ خَاصَّةٍ، تُثِيرُ عَوَاطِفَ الشَّاعِرَةِ وَانْفِعَالَاتِهَا.

وَهَذَا التَّوْظِيفُ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَمْنَحُهَا صِفَةَ التَّجَدُّدِ وَالتَّوَاصُلِ الْحَيِّ وَالْفَاعِلِ فِي الْجَسَدِ الْعَرَبِيِّ، وَعَبْرَ شَبَكَةِ الْعَلَاقَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي تَمْنَحُ النَّصَّ صِفَةَ الْأَدَبِيَّةِ؛ لِذَلِكَ لَا نَسْعَى لِمَعْرِفَةِ الْأَبْعَادِ الْهَنْدَسِيَّةِ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي شِعْرِ الْبُسْتَانِيّ، بِالْقَدْرِ الَّذِي نَسْبُرُ فِيهِ أَغْوَارَ النَّصِّ مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِيَّةِ الْمَدِينَةِ وَصُورَتِهَا وَانْسِجَامِهَا فِي الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ، وَمَعْرِفَةِ الْقِيَمِ الدَّلَالِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ الَّتِي تَتْرُكُهَا فِي النَّصِّ.

تَتَوَسَّعُ دَائِرَةُ النَّظْرَةِ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعِرَاقِيَّةِ، حِينَمَا تَأْخُذُ شَكْلَ الْخَرِيطَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَا بَيْنَ (شَطِّ الْعَرَبِ وَالْمُحِيط)، رُؤْيَةٌ شِعْرِيَّةٌ لِفَاعِلِيَّةِ الْمَكَانِ/ الْمَدِينَةِ، فِي انْتِمَائِهَا لِهَذِهِ الْأَرْضِ، وَتَرَى الشَّاعِرَةُ أَنَّ الْأَرْضَ الْعَرَبِيَّةَ تَجْمَعُهَا اللُّغَةُ وَالدِّينُ وَالتَّارِيخُ وَالْعَادَاتُ، وَأَنَّ (النِّيلَ الَّذِي يَسْكُنُ قَلْبَ الْأَرْضِ) هُوَ يَمُدُّ شَرَايِينَهُ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَيَتَجَلَّى الْبُعْدُ الْقَوْمِيُّ فِي رُؤْيَتِهَا لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهَا:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يَطْلُعُ وَجْهَكَ يَفْتَحُ كَهْفَ الْجُنَاة،
وَيَطْلُعُ وَجْهُ الْفِدَائِيِّ يَفْتَحُ بَابَ دِمَشْقَ
يُفَجِّرُ سُورًا تَطَاوَلَ مَا بَيْنَ رَفْضِي
وَحَنْظَلَةَ قَاتِلَة
وَيَطْلُعُ بَيْنَ الْجَلِيلِ وَعكَّا...
سَيُزْهِرُ مَا بَيْنَ عَمَّانَ وَالنَّاصِرَة. [11،ص560-561]

تُعَدُّ قَصِيدَةُ (**الْأَبْوَاب**) مِنْ أَبْرَزِ الْقَصَائِدِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ الْبُسْتَانِيّ فِي اسْتِحْضَارِ الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّة، إِذْ تُوَظِّفُ (دِمَشْقَ، وَالْجَلِيلَ، وَعكَا، وَالإِسْكَنْدَرُونَةَ، وَحَيْفَا، وَعَمَّانَ، وَالنَّاصِرَةَ، وَالْعِرَاقَ، وَمَكَّةَ، وَالْقُدْسَ، وَبَغْدَادَ، وَسِينَاءَ، وَالشَّامَ)، فِي رُؤْيَةٍ تَوَحُّدُ الْمُدُنِ الْعَرَبِيَّةِ وَامْتِدَادِهَا، حِينَمَا يَطْلُعُ الْفِدَائِيُّ مِنْ قَلْبِ دِمَشْقَ، فَتَرْتَفِعُ نَبْرَةُ الْخِطَابِ بِالِافْتِخَارِ وَالِاعْتِزَازِ بِدِمَشْقَ، وَهِيَ تُعَانِقُ الْعِرَاقَ وَفِلَسْطِينَ، وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ زَمَنَ كِتَابَةِ الْقَصِيدَةِ بَيْنَ عَامَيِ (1977 – 1983)، أَيْ زَمَنَ الْمَدِّ الثَّوْرِيِّ وَالْقَوْمِيِّ، إِذْ جَمَعَت مَا بَيْنَ الاجْتِيَاحِ الصُّهْيُونِيِّ لِجَنُوبِ لُبْنَانَ، وَمَا بَيْنَ الْعُدْوَانِ الإِيرَانِيِّ عَلَى الْعِرَاقِ (1980– 1988)، فَيَطْلُعُ عَلَيْنَا قَلْبُ النِّيل:

أَيُّهَا النِّيلُ الَّذِي يَسْكُنُ قَلْبَ الْأَرْضِ
خُذْ شَطَّ الْعَرَبِ
وَامْزِجِ الْخَمْرَةَ نَارًا إِنَّنِي أَشْرَبُ،/ أَشْرَبُ
أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي يَحْضُنُ بَيْرُوتَ
وَغَابَاتِ حَلَبْ...
هَاكَ بَغْدَادَ عَلَى الْغُوطَةِ تَتْأَلُ عَنَاقِيدُ ذَهَبْ...
خَبَرُ الشَّطِّ عَنِ الْوَرْدِ الَّذِي يُشْعِلُ صَحْرَاءَ النَّقَبْ. [11،ص558]

إِنَّ مَا تَتَعَرَّضُ لَهُ المدينَةُ الْعَرَبِيَّةُ واحدٌ، أَيْنَمَا كَانَتْ (هَاك بغداد على الغوطة)، فرؤيَةُ الشَّاعِرَةِ لِلنِّيلِ وبيروتَ وَالْعِرَاقِ وَفِلَسْطِينَ، يَنْبُعُ مِمَّا حَلَّ بِهَا، وَاقْتِرَانُ دَالِ (اللَّيْلِ) الَّذِي يَلُفُّ بَيْرُوتَ هُوَ ذَاتُهُ الَّذِي يَلُفُّ الْعِرَاقَ (شَطّ العرب، بغداد) وَهُوَ فِي فِلَسْطِينَ (صحراء النقب)، وَهَذَا التَّفَاعُلُ بَيْنَ مَجْمُوعَةِ الدَّوَالِ (اللَّيْل، ويشعل وتَكْرَارِهَا ثلاث مرَّات، واغتيال، واصرخ، ويطفئ) يُوحِي بِرُؤْيَةٍ مُتَشَابِكَةٍ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَبْرَ ثُنَائِيَّاتِهَا، الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ، الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ،... وَالشَّاعِرَةُ تَأْمُلُ فِي أَنْ يَتَحَرَّكَ النِّيلُ " فَالْمَدِينَةُ عُمْقُ الْحَرَكَةِ وَالتَّشَكُّلِ، وَبَاعِثٌ لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَمُحَصِّلَةٌ لَهَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِه"[19،ص63]، فَإِذَا كَانَتِ الْمَدِينَةُ مَكَانَ الثَّوْرَاتِ وَالِانْقِلَابَاتِ وَالتَّغْيِيرَاتِ، فَهِيَ الْبُوصَلَةُ الَّتِي تَتَّجِهُ إِلَيْهَا أَفْئِدَةُ الْمَظْلُومِينَ وَالْمَحْرُومِينَ، فَالْمُدُنُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ الَّتِي تُوَظِّفُهَا الشَّاعِرَةُ تَحْضُرُ بِوَصْفِهَا مَكَانًا يَتُوقُ لِلْحُرِّيَّةِ:

فِي بَغْدَادَ وَفِي غَزَّة
طِفْلٌ يَحْمِلُ قِنْدِيلًا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وَأنا وَاخجَلَاهُ
أَحْمِلُ لَيْلًا مُنْذُ سنين. [11، ص234]

وتَظْهَرُ **غَزَّةُ** بِوَصْفِهَا صُورَةً مُعَادِلَةً لِبَغْدَادَ، وَمَا تُعَانِيهِ، إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ عُنْوَانَ الْقَصِيدَةِ (فَوَاصِل فِي ظِلِّ التَّحْرِيرِ الأَمْرِيكِيِّ) يَدُلُّ عَلَى أَثَرِ الْعَدُوِّ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَيْفَ تَرَكَهَا (طِفْلٌ يَحْمِلُ قَنْدِيلاً)، طِفْلُ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، وَالْمَدِينَةُ الْحَضَارِيَّةُ، وَإِنْ كَانَ دَالُ الْقِنْدِيلِ يُوحِي بِالْأَمَلِ وَالْاسْتِمْرَارِ، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَةَ انْزَاحَتْ بِالْمَعْنَى، وَهَذِهِ الدَّوَالُ تُثِيرُ فِي الْمُتَلَقِّي حَالَةً مِنَ الضِّيقِ وَالضَّجَرِ وَالنُّفُورِ مِنَ الْمَدِينَةِ، بِفِعْلِ هَذَا الْعَدُوِّ عَلَى الْمَدِينَةِ (غَزَّةَ)، وَتُشَارِكُهَا بَغْدَادُ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَلَمَ مُنْذُ سِنِينَ، الْبَوَّابَةُ الشَّرْقِيَّةُ الَّتِي صَمَدَتْ أَمَامَ الزَّمَنِ، إِذًا مَدِينَتَانِ تُعَانِيَانِ، وَحِينَمَا يُشِيرُ دَالُ (التَّحْرِيرِ) إِلَى مُغَايَرَةِ اللَّفْظِ لِمَا وُضِعَ لَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ النَّصِّيِّ بِإِخْرَاجِ الْمَدِينَةِ إِلَى النُّورِ فِي ظِلِّ الْحَضَارَةِ الْجَدِيدَةِ "فَحَدِيثُ الْحَضَارَةِ) حِينَ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمُسْتَوَى الْفَنِّيِّ، يَتَخَلَّقُ فِي طِرَازٍ مِنَ الْجَدَلِيَّةِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْحَيَاةِ، وَبِالتَّالِي تَتَوَلَّدُ هَذِهِ الْجَدَلِيَّةُ: ثُنَائِيَّةُ الذَّاتِ/ الْمَوْضُوعِ، وَهِيَ إِحْدَى مُفْرَدَاتِ لُغَةِ التَّضَادِ الَّتِي هِيَ مَظْهَرٌ لِانْشِطَارِ الشَّاعِرِ فِي عَالَمِ الْمَدِينَةِ" [19،ص96]، فَهَذِهِ الْمَدِينَةُ الْحَدِيثَةُ قَلَبَتْ وَجْهَ مَدِينَةِ غَزَّةَ وَبَغْدَادَ.

وَحِينَمَا تُصْبِحُ **بَيْرُوتُ** مَحَطَّةً لِلْغُرْبَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْوِجْدَانِيَّةِ، تَمُدُّ الشَّاعِرَةُ خُيُوطَ الْأَمَلِ؛ لِتُشَارِكَ الْمُدُنَ الْأُخْرَى مُصَابَهَا، فَتُشَكِّلُ بَيْرُوتُ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِجُرْحِ الْعِرَاقِ وَفِلَسْطِينَ، وَامْتِدَادًا حَقِيقِيًّا لِرُؤْيَا شِعْرِيَّةٍ مُفْعَمَةٍ بِالْحَرَكِيَّةِ تُجَاهَ بَيْرُوتَ، وَاتِّجَاهَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ:

مِنْ جَحِيمِ الْمُحِيطِ لِنَارِ الْخَلِيجِ
وَمِنْ قُبَّةِ الْقُدْسِ حَتَّى قُبُورِ أُمَيَّةَ
بَيْرُوتُ تَنْشُرُ وَجْهِي عَلَى حَافَّةِ الْجُرْفِ
تَنْشُرُ مَوَّالَ حُبِّي عَلَى كَتِفِ دَبَّابَةٍ غَازِيَةٍ
وَبَيْرُوتُ تَسْتَلِبُ الْبَحْرَ زُرْقَتَهُ
وَتَنَامُ عَلَى الشَّطِّ مَذْبُوحَةً عَارِيَةً. [11، ص476-477]

فَرُؤْيَةُ الشَّاعِرَةِ لِبَيْرُوتَ تَنْقَسِمُ بَيْنَ رُؤًى مُتَعَدِّدَةٍ، الْأُولَى، صُورَةُ بَيْرُوتِ السِّحْرِ وَالْجَمَالِ، وَالنَّغَمِ، حِينَمَا تُعَانِقُ الْبَحْرَ بِزُرْقَتِهِ، لَكِنَّ الانْزِيَاحَ اللُّغَوِيَّ يَبْدُو جَلِيًّا فِي حَرَكَةِ أَلْفَاظِهَا (الْحُزْنِ، والدَّبَّابَةِ، وَعَارِيَةٍ) تُوحِي بِالصِّفَةِ الْأُخْرَى لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ الَّتِي حَلَّ فِيهَا الدَّمَارُ، الدَّبَّابَةُ، وَمَا تَفْعَلُهُ لِتَتْرُكَ بَيْرُوتَ عَارِيَةً؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ" الْمَدِينَةُ فِي اللُّغَةِ مُؤَنَّثَةً، وَفِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ كَانَتْ حَرَكَةُ التَّارِيخِ ضِدَّ الْمُدُنِ فَتْحًا وَاجْتِيَاحًا وَاغْتِصَابًا لَهَا وَلِنِسَائِهَا وَلِمَوَارِدِهَا" [9، ص91]، فَهِيَ مَدِينَةٌ تَئِنُّ مِنَ الْوَجَعِ وَالْأَلَمِ الْمُرِّ، فَأَيْنَمَا نَظَرْتَ بَيْرُوتَ وَجَدْتَ جَحِيمًا فِي الْمُحِيطِ، وَنَارًا فِي الْخَلِيجِ، وَإِذَا اتَّسَعَتِ الرُّؤْيَا وَجَدْتَ قُبَّةَ الْقُدْسِ تُشَاطِرُهَا، وَقُبُورَ أُمَيَّةَ تَصْرُخُ، فَهِيَ غُرْبَةٌ فِكْرِيَّةٌ دَاخِلَ إِطَارِ الْمَدِينَةِ، تُوَاجِهُ الْوَاقِعَ السَّيِّءَ بِشَيْءٍ مِنَ الصُّمُودِ وَمُحَاوَلَةِ التَّغْيِيرِ(تَنْشُرُ مَوَّالَ حُبِّي)، فَالْحُزْنُ وَالتَّمَزُّقُ وَالتَّشَرْذُمُ الْعَرَبِيُّ هِيَ أَبْرَزُ مَظَاهِرِ غُرْبَةِ الْمَدِينَةِ وَاغْتِرَابِهَا.

وَكَذَلِكَ تُشَاطِرُ **(عكَّا وَحَيْفَا) بَيْرُوتَ** آلَامَهَا، فَهِيَ مُدُنُ الْجَمَالِ وَالسِّحْرِ، وَالرَّوْعَةِ، وَهِيَ تُعَانِقُ الْبَحْرَ، وَمُدُنٌ صَمَدَتْ أَمَامَ غُزَاةِ الْبَحْرِ:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أَبْوَابُ حَيْفَا مُذْ خَرَجْنَا
ظَلَّتْ مُفَتَّحَةً لِأَسْرَابِ النَّمِيمَةِ
سِفْرُ الْجَرِيمَةِ أَيْنَعَتْ أَغْصَانُهُ
وَعَنَاكِبُ الدّيجُورِ
تَحْجُبُ فِي الرُّبَى وَرْدَ الصَّبَاحِ. [11، ص329]

تَتَحَسَّرُ الشَّاعِرَةُ عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ/ **فَلَسْطِينَ**، الَّتِي دُمِّرَتْ وَطُرِدَ أَهْلُهَا، وَشُرِّدُوا فِي الْمَنَافِي – غَابَ أَهْلُهَا– حَتَّى طَالَ غِيَابُهُمْ (سِفْرُ الْجَرِيمَةِ أَيْنَعَتْ أَغْصَانُهُ)؛ دَلَالَةً عَلَى طُولِ الْفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ، مُوَظِّفَةً صُورَةَ حَيْفَا الَّتِي تَنْتَظِرُ أَهْلَهَا، بِدَلَالَةِ الْأَبْوَابِ الْمَفْتُوحَةِ، لَكِنَّ الْعَنَاكِبَ الَّتِي حَلَّتْ فِي الْمَدِينَةِ، غَيَّرَتْ وَجْهَ الْمَدِينَةِ " فَتُصْبِحُ الْمَدِينَةُ مِرْآةً أَوْ رَمْزًا لِلْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَعُمُّ الدَّوْلَةَ كُلَّهَا" [20، ص348]، فَإِنَّ مَا يُعَانِيهِ الْإِنْسَانُ فِي الْمَدِينَةِ هُوَ إِسْقَاطٌ حَقِيقِيٌّ لِمَا تُعَانِيهِ الْمَدِينَةُ ذَاتُهَا "وَلَيْسَ الْمَدِينَةُ إِلَّا شَكْلاً مِنْ أَشْكَالِ الْوُجُودِ... وَتُصْبِحُ الْمَدِينَةُ كَالنَّاسِ تُعَانِي مَرَارَتَهُمْ، وَتَتَلَقَّى مَا يَتَلَقَّوْنَ" [7،ص121] فَالشَّاعِرَةُ تَبْحَثُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمَفْقُودَةِ الَّتِي فَقَدَتْ مَلَامِحَهَا الْأَصْلِيَّةِ، عَبْرَ فِعْلِ الْآخَرِ، هَذَا الْبَحْثُ عَبْرَ الْأَحْلَامِ وَالرُّؤَى فِي مُسْتَقْبَلِيَّةِ الْمَدِينَةِ، وَعَبْرَ فِعْلِ التَّحَوُّلِ:

دَبَّابَاتُ الْغَزْوِ تَدُورُ
اللَّيْلَةَ أَكْتُبُ حُزْنِي
وَأُبْصِرُ صَخْرَ الْقُدْسِ
يَتَدَحْرَجُ فَوْقَ مَآذِنِ بَغْدَادَ
يَصِلَانِ .../ بَغْدَادَ بِعَكَّا. [11، ص131–132]

إِذْ تَرْبِطُ الشَّاعِرَةُ الْوَجَعَ الْعِرَاقِيَّ بِالْوَجَعِ الْعَرَبِيِّ **(فلسطين، القدس)** وَهِيَ تُحَاوِلُ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْوَجْهِ الْحَقِيقِيِّ لَهَا؛ لِأَنَّ مَلَامِحَهَا اخْتَفَتْ (أُبْصِرُ)، وَفِعْلُ الْإِبْصَارِ دَلَالَةٌ عَلَى تَغَيُّرِ صُورَةِ الْمَدِينَةِ وَبُعْدِهَا عَنْ ذَاتِ الشَّاعِرَةِ، كَذَلِكَ الْإِبْصَارُ فِيهِ عَدَمُ دِقَّةٍ، لَكِنْ أَرَى تُظْهِرُ الْمَلَامِحَ جَلِيَّةً؛ لِأَنَّ دَبَابَاتِ الْغَزْوِ تَدُورُ فِي أَرْجَاءِ الْمُدُنِ الْعَرَبِيَّةِ فَيَتَدَحْرَجُ صَخْرُ الْقُدْسِ، مِنْ خِلَالِ فِعْلِ الرُّؤْيَا، وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَمِلٍ بِفِعْلِ الصُّورَةِ الضَّبَابِيَّةِ (الْحُزْنِ) الَّتِي تَلُفُّ الْمُدُنَ (بَغْدَادَ بِعَكَّا)، فَضْلاً عَنِ الْمَسْكُوتِ عَنْهُ(...) فِي فَضَاءِ الْقَصِيدَةِ؛ لِذَلِكَ " تَتَاوَلُ الْبُعْدُ السِّيَاسِيُّ فِي قَصِيدَةِ الْمَدِينَةِ، يَمْتَلِكُ قُدْرَةً كَبِيرَةً عَلَى عَكْسِ جَانِبٍ مُهِمٍّ مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْمَدِينَةِ، حَيْثُ تُصْبِحُ لِلْقَصِيدَةِ إِمْكَانَاتٌ تَعْبِيرِيَّةٌ وَحَرَكِيَّةٌ هَائِلَةٌ، هِيَ أَقْدَرُ مَا تَكُونُ عَلَى عَكْسِ مُنَاخَاتِ الْعَصْرِ وَأَمْزِجَتِهِ"[21، ص196].

تَعَامَلُ الشَّاعِرِ الْحَدِيثِ مَعَ الْمَدِينَةِ يَكْمُنُ فِي مَدَى فَاعِلِيَّةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَحَرَكِيَّتِهَا عَلَى الْمُسْتَوَى الْفِكْرِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ، وَلَيْسَ مِنْ جَانِبِ النُّفُورِ مِنْهَا، أَوِ الْحَنَقِ عَلَيْهَا، فَتَبْدُو **الشَّامُ** صُورَةً أُخْرَى لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْتَبَاحَةِ، فَتَخْتَفِي مَلَامِحُهَا:

بِوَاحَةٍ فِي الشَّامِ أَصْرُخُ بِالنَّخِيلِ
وَأَسْتَظِلُّ الْأَرْزَ
دَبَّابَاتُهُمْ فِي اللَّيْلِ تَعْبُرُ رَوْضَةَ الشَّامِ الْمُبَاحِ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لَوْ أَنَّهُمْ فَكُّوا قُيُودَ الْقُدْسِ
مَا حلَّتْ مَلَامَتُهُمْ. [11،ص433]

هُنَا تَتَجَاوَزُ الشَّاعِرَةُ الْحُدُودَ الْجُغْرَافِيَّةَ لِلْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ **(الشَّام)**؛ لِلدُّخُولِ إِلَى قَلْبِ الْمُدُنِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبِمَا تُمَثِّلُهُ الشَّامُ فِي الذَّاكِرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، حَضَارَةً وَتَقَدُّمًا وَخَلَافَةً، وَبِمَا تُمَثِّلُهُ مِنَ الْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ (دَبَابَاتِهِمْ فِي اللَّيْلِ) غَيَّرَتْ وَجْهَ الْمُعَادَلَةِ؛ لِأَنَّ دَالَ اللَّيْلِ هُنَا (زَمَنًا) يَدُلُّ عَلَى الْمُؤَامَرَاتِ الَّتِي تُحَاكُ فِيهِ؛ لِذَلِكَ ارْتَفَعَ الصَّوْتُ (أَصْرُخُ)؛ لِكَيْ تُوَقِّفَ زَحْفَ الدَّبَابَاتِ عَلَى الشَّامِ، فَتَصْرُخُ بِالنَّخِيلِ؛ لِكَي يَفُكَّ قَيْدَ الْقُدْسِ، وَهُنَا تَنْبُعُ جَمَالِيَّاتُ اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ الْبُسْتَانِيِّ فِي تَوْظِيفِ الدَّوَالِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي تُوحِي بِإِيقَاعِ النَّصِّ وَتَنَاسُبِهِ مَعَ مَضْمُونِهِ؛ لِذَلِكَ " إِنَّ جَمَالَ اللُّغَةِ يَنْبُعُ مِنْ نِظَامِ الْمُفْرَدَاتِ وَعَلَاقَتِهِ بَعْضِهَا بِالْبَعْضِ الآخَرِ، وَهُوَ نِظَامٌ لَا يَتَحَكَّمُ فِي النَّحْوِ، بِلِ الْانْفِعَالِ وَالتَّجْرِبَةِ" [1، ص90]، فَضْلاً عَنْ حَرْفِ التَّمَنِّي (لَوْ): فِي تَمَنِّي خَلَاصِ الْقُدْسِ مِنَ (الدَّبَّابَاتِ)، وَكَذَلِكَ بِالْمُدُنِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى، وَالنَّخِيلُ = الْعِرَاقِ، وَالْأَرْزُ = لُبْنَانَ، وَبَقِيَّةُ الْمُدُنِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْتَبَاحَةِ.

الْمِحْوَرُ الثَّالِث: المَدِينَةُ التَّارِيخِيَّة

لَقَدِ احْتَلَّتِ الْمَدِينَةُ التَّارِيخِيَّةُ أَهَمِّيَّةً كَبِيرَةً عِنْدَ الشُّعَرَاءِ الْمُحْدَثِينَ؛ بِوَصْفِهَا تُشَكِّلُ بُعْدًا تَارِيخِيًّا وَوُجُودِيًّا لِمَاضٍ عَرَبِيٍّ مَلِيءٍ بِالْأَحْدَاثِ (الإِيجَابِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ)، إِذْ يُلْقِي الشَّاعِرُ عَلَيْهَا آرَاءَهُ وَفَلْسَفَتَهُ، فَهِيَ تُشَكِّلُ وِعَاءً وَتَجْرِبَةً جَاهِزَةً، وَعَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ عَلِيِّ حَدَّاد: لَا يَتَعَامَلُ الشَّاعِرُ الْحَدِيثُ مَعَ الْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ بِوَصْفِهَا حَقَائِقَ تَارِيخِيَّةً/ جُغْرَافِيَّةً هَنْدَسِيَّةً لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا يُضْفِي عَلَيْهَا ذَاتَهُ وَوَاقِعَهُ، إِذْ يَتَعَامَلُ مَعَهَا عَلَى وَفْقِ قَنَاعَتِهِ وَمَا تُشَكِّلُهُ فِي مَوْرُوثِهِ الْفِكْرِيِّ، بِحَيْثُ يُسْقِطُ عَلَيْهَا مِنْ فَلْسَفَتِهِ الْخَاصَّةِ [22، ص80]، وَهَذَا الْمُرَادُ مِنْ تَشَكُّلِ الْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ فِي شِعْرِ بُشْرَى، إِذْ تَحْضُرُ بِوَصْفِهَا مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا وَفِكْرِيًّا لِلْمَدِينَةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَمَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ أَحْدَاثٍ تُعَدُّ امْتِدَادًا لَا شُعُورِيًّا لِلْمَاضِي، وَقَدْ تَحْضُرُ الْمَدِينَةُ التَّارِيخِيَّةُ بِشَخْصِيَّاتِهَا الَّتِي تُشَكِّلُ صُورَةً لِشَخْصِيَّاتٍ زَمَانِيَّةٍ حَاضِرَةٍ مَعَنَا، أَضْفَتْ عَلَى الْمَدِينَةِ وَجْهًا آخَرَ " فَالْمَدِينَةُ وَجْهُهَا الْمَادِيِّ يَكْشِفُ عَنْ رُوحِهَا وَجَوْهَرِهَا، وَهُوَ الْوَجْهُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَدِينَةً إِلَّا بِهِ" [11،ص330]، وَكَذَلِكَ " تَكْشِفُ الْمَدِينَةُ عَنْ وَجْهِهَا الْحَقِيقِيِّ مِنْ خِلَالِ تَجْرِبَةِ الشَّاعِرِ مَعَهَا"[20، ص342].

وَتَحْضُرُ الْمُدُنُ التَّارِيخِيَّةُ فِي شِعْرِ بُشْرَى بَيْنَ (الْأَنْدَلُس، وَغَرْنَاطَة، وَآشُور، وَسومَر، وَسَمَرْقَنْد، وَبَابِل، وَالْقُدْس، وَالْكُوفَة، وَخَيْبَر، وَالشَّام، وَحِطِّين، وَسَبَأ، وَيَثْرِب، وَنَجْد، وَمَكَّة...)؛ بِوَصْفِهَا حَرَكِيَّةً شُعُورِيَّةً وِجْدَانِيَّةً لِتَجَارِبَ حَصَلَتْ، وَرُؤْيَةُ الشَّاعِرَةِ لِلْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ هِيَ مِنَ الْوَعْيِ الْمُتَزَايِدِ بِالْمَكَانِ [23،ص130]؛ لِذَلِكَ تُشَكِّلُ الْأَنْدَلُسُ وَغَرْنَاطَةُ ثُنَائِيَّةً جَدَلِيَّةً بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دَلَالَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ وَحَضَارِيَّةٍ تَرْبِطُهَا الشَّاعِرَةُ مَعَ الْحَاضِرِ:

دَبَّابَاتُ الْقَتْلِ تَدُورُ.../ بَغْدَادُ
سَمَرْقَنْدُ/ غَرْنَاطَةُ تَنْهَدْ
ثَانِيَةً يُوغِلُ هُولَاكُو فِي قُمْصَانِ الْمُدُنِ التَّعْبَى
ثَانِيَةً يَقْطَعُ هُولَاكُو/ شِرْيَانَ الْحِبْرِ الْأَسْوَد [11، ص104]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تَتَفَاعَلُ الْمَدِينَةُ التَّارِيخِيَّةُ مَعَ الْمَدِينَةِ الْحَضَارِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى عُمْقِ الْمَأْسَاةِ، الَّتِي حَلَّتْ بِالْأُمَّةِ، فَتَحْضُرُ بِشَخْصِيَّاتِهَا الَّتِي أَثَّرَتْ فِيهَا، فَيَحْضُرُ هُولَاكُو؛ بِوَصْفِهِ شَخْصِيَّةً طَاغِيَةً، وَحَاكِمًا جَائِرًا، وَمُحْتَلًّا يَفْتِكُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ هُولَاكُو الْعَصْرِ (دَبَّابَات) فَقَدْ تَعَانَقَتْ (بَغْدَادُ) مَعَ (غَرْنَاطَةَ) فِي الدَّلَالَةِ عَلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ، وَفَتْكِهِ بِالْمَدِينَةِ وَبِأَهْلِهَا، فَضْلاً عَنْ (سَمَرْقَنْدَ) وَمَا حَلَّ فِيهَا أَيَّامَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ لَهَا، فَهِيَ (أَنْدَلُسِيَّاتٌ، وَسَمَرْقَنْدَاتُ الْعَصْرِ)، فَتُسْقِطُ الشَّاعِرَةُ دَلَالَاتِ الْمَاضِي عَلَى الْحَاضِرِ عَبْرَ جَدَلِيَّةٍ ثُنَائِيَّةٍ، وَكَأَنَّ فِعْلَ الدَّمَارِ وَالتَّسَلُّطِ يَتَكَرَّرُ عَلَى الْمَدِينَةِ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ، وَهُولَاكُو الْعَصْرِ الَّذِي يَقْطَعُ شَرَايِينَ الْحَيَاةِ فِي بَغْدَادَ (دَبَّابَاتِ الْقَتْلِ) هُوَ نَفْسُهُ فِي غَرْنَاطَةَ وَفِي بَغْدَادَ، وَتُزَادُ النَّبْرَةُ الشِّعْرِيَّةُ ارْتِفَاعًا حِينَمَا تَتَعَانَقُ الْمُدُنُ الْعَصْرِيَّةُ مَعَ الْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ فِي فَضَاءٍ نَصِّيٍّ:

تَبْكِي دِجْلَةُ فِي قَلْبِ اللَّيْلِ/ زَفِيرُ الثُّعْبَانِ يُرِيقُ النَّارَ/...
يَنْزِفُ أَنْدَلُسًا أُخْرَى/ وَفِلَسْطِينُ/ تَطْلُعُ مِنْ عَيْنِ غَزَالْ
غَرْنَاطَةُ تَعْدُو فِي قُمْصَانِ اللَّيْلِ/ يُلَاحِقُهَا الذِّئْبُ التَّتَرِيُّ
تَصِلُ الْبَصْرَةَ. [11، ص110-111]

فَتَحْضُرُ الْمُدُنُ التَّارِيخِيَّةُ بِوَصْفِهَا الْمُعَادِلَ الْمَوْضُوعِيَّ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَمَا حَلَّ فِيهَا مِنَ الدَّمَارِ وَالْخَرَابِ؛ لِأَنَّ (التَّتَرِيَّ) يَفْتِكُ بِهَا، وَتَنْزِفُ أَنْدَلُسًا أُخْرَى، وَشَكَّلَ دَالُ النَّكِرَةِ (أَنْدَلُسًا) دَلَالَةَ الْعُمُومِ وَالشُّمُولِ عَلَى الْوَاقِعِ الْعَرَبِيِّ الرَّاهِنِ، فَهِيَ (أندلس= بغداد، أندلس= فلسطين، أندلس=الشام)، فَهَذَا التَّلَاعُبُ اللُّغَوِيُّ (دجلة، الثُّعْبَان، أَنْزِف، فلسطين، غزَال، غرْنَاطَة، ذئب، تَتَرِيّ، بَصْرَة)، يُفْضِي إِلَى سِيمِيَائِيَّةِ النَّصِّ، فَتُوصِي بِتَشَتُّتِ ذَاتِ الشَّاعِرَةِ، وَقَلَقِهَا فَضْلاً عَمَّا تَتْرُكُهُ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي مِنَ الْحَيْرَةِ وَالْقَلَقِ، فَبُشْرَى تَتَحَسَّرُ عَلَى مَا حَلَّ فِي مُدُنِنَا الْعَرَبِيَّةِ، فَتَرْجِعُ الْمَدِينَةُ عَبْرَ الْحُلُمِ وَالْخَيَالِ، وَعَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ بَاشْلَار "إِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي يَنْجَذِبُ نَحْوَهُ الْخَيَالُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى مَكَانًا لَا مُبَالِيًا، ذَا أَبْعَادٍ هَنْدَسِيَّةٍ وَحَسْبُ، فَهُوَ مَكَانٌ قَدْ عَاشَ فِيهِ بِشَرٌ لَيْسَ بِشَكْلٍ مَوْضُوعِيٍّ فَقَطْ، بَلْ بِكُلِّ مَا فِي الْخَيَالِ مِنْ تَحَيُّزٍ، وَخَاصَّةً أَنَّهُ يَمْلِكُ جَاذِبِيَّةً فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ" [16،ص37]، لِذَلِكَ تُؤَدِّي الدَّوَالُ الشِّعْرِيَّةُ مُجْتَمِعَةً فَاعِلِيَّةَ النَّصِّ وَحَرَكِيَّتِهِ وَدَلَالَاتِهِ، فَاللُّغَةُ الشِّعْرِيَّةُ تَفْضَحُ الْمَسْكُوتَ عَنْهُ (...) فِي الْفَضَاءِ الطِّبَاعِيِّ، عَبْرَ جَدَلِيَّةِ الدَّوَالِ، وَعَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الشِّعْرَ يَتَكَلَّمُ عَبْرَ دَلَالَاتٍ إِيمَائِيَّةٍ؛ لِيَكْشِفَ مَا يَتَسَتَّرُ التَّارِيخُ عَلَيْهِ [24، ص85] فَهَذَا الثُّعْبَانُ التَّتَرِيُّ مَا زَالَ يَفْتِكُ بِالْمَدِينَةِ، (تَبْكِي دِجْلَةُ)، وَاسْتِمْرَارِيَّةُ الْحَدَثِ (يَنْزِفُ) وَأَثَرُهُ فِي بَقِيَّةِ الْمُدُنِ:

تَزْحَفُ ذِي قَارْ/ بَيْنَ جُذُورِ النَّخْلِ الْمُمْتَدَّةِ فِي أَوْتَارِ الْحُزْنْ
بِسُومَرَ،/ حَتَّى قَلْبِ النَّارْ/...
وَخَلْفَ الدَّارْ/ جَنَائِنُ بَابِلَ ظَمْأَى. [11، ص111]

فَتَمْتَلِكُ الْأَلْفَاظُ الْمُفْرَدَةُ (ذِي قَار، وَالنَّخْل، وَالْحَزَن، وَسومَر، وَالنَّار، وَجَنَائِنُ بَابِل ظَمْأَى) الَّتِي هِي " أَوْضَاعُ اللُّغَةِ" [17، ص539]، خَاصِّيَّةً دَلَالِيَّةً فِي السِّيَاقِ النَّصِّيِّ، تُشِيرُ إِلَى حَالَةِ الْقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ، فَالشَّاعِرَةُ نَجَحَتْ فِي اسْتِغْلَالِ الطَّاقَاتِ الإِيحَائِيَّةِ وَالْإِيمَائِيَّةِ فِي الدَّوَالِ الشِّعْرِيَّةِ، فَمَنَحَتِ النَّصَّ الشَّاعِرِيَّةَ الْأَدَبِيَّةَ وَالرَّمْزِيَّةَ الْفِكْرِيَّةَ، الَّتِي جَعَلَتْ مِنْ نَصِّهَا نَصًّا أَدَبِيًّا، يُثِيرُ إِشْكَالِيَّاتٍ نَقْدِيَّةً، فَمِنْ هُنَا، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ عَبْرَ حَرَكِيَّتِهَا الدَّلَالِيَّةِ وَانْسِجَامِهَا مَعَ الدَّوَالِ الْأُخْرَى، مَنَحَتِ الْحَرَكِيَّةَ وَالْفَاعِلِيَّةَ لِلنَّصِّ، وَهَذَا مَا تَحَدَّثَ عَنْهُ الْجَاحِظُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَهَمِّيَّةِ الصِّيَاغَةِ النَّصِّيَّةِ "إِنَّمَا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الشَّأْنُ فِي إِقَامَةِ الْوَزْنِ، وَتَخَيُّرِ اللَّفْظِ...، وَفِي صِحَّةِ الطَّبْعِ، وَجَوْدَةِ السَّبْكِ، إِنَّمَا الشِّعْرُ صِنَاعَةٌ، وَضَرْبٌ مِنَ النَّسْجِ، وَجِنْسٌ مِنَ التَّصْوِيرِ [25، ص ج 75/3]، فَضْلًا عَنْ عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ الَّذِي يُشَكِّلُ ثُنَائِيَّةً خَاصَّةً، أُولَاهَا: (أَنْدَلُسِيَّاتٌ لِجُرُوحِ الْعِرَاقِ 2002 – 2008)، إِذْ يُشَكِّلُ عُنْوَانًا عَامًّا لِلدِّيوَانِ، وَثَانِيهَا: عُنْوَانًا لِلْقَصِيدَةِ الْأُولَى فِي الدِّيوَانِ، فَتَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ الْعُنْوَانِ بِعَمَلِهِ الدَّلَالِيِّ مِفْتَاحًا عَامًّا لِلدُّخُولِ إِلَى عُمْقِ النَّصِّ/ النُّصُوصِ الشِّعْرِيَّةِ، فَضْلًا عَنْ صِفَةِ الْجَمْعِ (جُرُوح)، وَهَذَا الْجَمْعُ يُوحِي بِالصُّورَةِ السَّوْدَاوِيَّةِ الَّتِي طَغَتْ عَلَى الْمَدِينَةِ الْعِرَاقِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَتَجِدُ فِي الْأَنْدَلُسِ الْوَطَنَ الْمَفْقُودَ، وَصُورَةً أُخْرَى عَلَى أَنْدَلُسِيَّاتٍ مُعَاصِرَةٍ مَفْقُودَةٍ، أَوْ مُضَيَّعَةٍ، تَئِنُّ وَتَصْرُخُ، كَمَا صَرَّحَ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ (أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّغِير وَأُمُّه). الوَطَنُ الضَّائِعُ، أَوْ الْفِرْدَوْسُ الأَرْضِيُّ الْمَفْقُودُ، فَالْأَنْدَلُسُ تُعَدُّ إِحْدَى مُكَوِّنَاتِ الْبِنْيَةِ اللَّاشُعُورِيَّةِ الثَّاوِيَةِ فِي الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ، الَّتِي يَتِمُّ اسْتِدْعَاؤُهَا مِنْ خِلَالِ الْوَعْيِ بِأَبْعَادِهَا وَتَمَثُّلِهَا [26، ص10]، فَتَحْضُرُ فِي نَصٍّ جَدِيدٍ وَبِصُورَةٍ مُغَايِرَةٍ، لَكِنَّ أَمَلَ عَوْدَةِ الْمَدِينَةِ (الْمُعَاصِرَةِ) إِلَى بَهَائِهَا وَرِفْعَتِهَا قَائِمٌ:

مِنْ بَابِ الشَّمْسِ سَأَطْلُعُ ثَانِيَةً لِأَعُودَ
نَحْوَ تُرَابٍ يَنْهَضُ مِنْ أَرْدِيَةِ الْحُمَّى
وَيُلِمُّ شَظَايَا الرُّوحِ. [11، ص130]

فَتَسْتَلْهِمُ الشَّاعِرَةُ أَوْجُهَ التَّشَابُهِ بَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ، إِلَّا أَنَّ عَوْدَةَ الثَّانِيَةِ مُمْكِنَةٌ (سَأَطْلُعُ ثَانِيَةً لِأَعُودَ)، وَلَا سِيَّمَا أَنَّ الْعِرَاقَ هُوَ بَابُ الشَّمْسِ مِنْ نَاحِيَتَيْنِ: الأُولَى الْجُغْرَافِيَةِ– الْبَوَّابَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَالثَّانِيَةِ، مَنْبَعِ الْحَضَارَاتِ وَالْعِلْمِ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تُلِمَّ شَظَايَا الرُّوحِ الْمُبَعْثَرَةِ هُنَا وَهُنَاكَ، وَكَذَلِكَ تَحْضُرُ الْقُدْسُ بِوَصْفِهَا مَدِينَةً تَارِيخِيَّةً، وَدِينِيَّةً، وَحَضَارِيَّةً، مَدِينَةً عَصْرِيَّةً عَلَى الْأَعْدَاءِ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا حَلَّ بِهَا عَبْرَ التَّارِيخِ، إِذْ تَرِدُ الْقُدْسُ (ثَمَانِي عَشْرَةَ مَرَّةً) فِي شِعْرِ الْبُسْتَانِيِّ:

شَهِيدٌ آخَرُ وَيَصِيرُ بَابُ الْقُدْسِ أَقْرَب
خُطْوَةٌ أُخْرَى،/ كُرُومُ الْحُلْمِ أَدْنَى
إِنَّ فِي عَيْنَيْكِ فِرْدَوْسَ الْيَقِينِ/ وَقِصَّةً تُوحِي وَلَا تَحْكِي
وَصَخْرَةَ حُبِّي الْمَاذَلَّ فِي زَمَنٍ/ وَوَجْهُ السَّيِّدِ الْمَصْلُوبِ يَبْسُمُ مِنْ جَدِيد. [11، ص488]

تَتَجَلَّى **الْقُدْسُ** بِوَصْفِهَا الْمَدِينَةَ النَّقِيَّةَ الطَّاهِرَةَ، الَّتِي دُنِّسَتْ طَهَارَتُهَا، وَلَكِنَّهَا غَيَّرَتْ وَجْهَهَا الْحَقِيقِيَّ (وَصَخْرَةَ حُبِّي الْمَاذَلَّ)، الْعَرَبِيَّ الْإِسْلَامِيَّ، فَتَحِنُّ الشَّاعِرَةُ إِلَى عَوْدَتِهَا لِلْحِضْنِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، مَدِينَةٌ زَاهِرَةٌ، تُعَطَّرُ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ (شَهِيدٌ آخَرُ وَيَصِيرُ بَابُ الْقُدْسِ أَقْرَبَ)، فَالنَّبْرَةُ الانْفِعَالِيَّةُ لِرَفْعِ الْهِمَّةِ، وَأَمَلًا فِي عَوْدَتِهَا (أَقْرَب، أَدْنَى) عَبْرَ عَتَبَةِ (الْبَاب) لِلدُّخُولِ إِلَى فَضَاءِ الْمَدِينَةِ (الْقُدْس)، وَكَذَلِكَ تَسْتَحْضِرُ قَرَائِنَ دَالَّةً (الصَّخْرَةَ) الَّتِي صَعِدَ عَنْهَا الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى؛ لِلرَّبْطِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَلِتُضْفِيَ قَدَاسَةً أَكْثَرَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تُعَرِّجُ عَلَى قِصَّةِ الْفِدَاءِ وَالتَّضْحِيَةِ (وجه السَّيِّدِ المَصْلُوب يَبْسُمُ مِنْ جَدِيد)، مُحَرِّرَةً؛ إِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ الْمُمْكِنُ، وَلَيْسَ الْمَدِينَةَ اللَّا مُمْكِن (الأَنْدَلُس)، حَتَّى تَعُودَ لِأَصْحَابِهَا، لِذَلِكَ شَكَّلَتِ الْقُدْسُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ مَثَارَ ذِكْرَيَاتِ الشُّعَرَاءِ، وَأَلْهَبَتْ عَوَاطِفَهُمْ الْجَيَّاشَةَ، عَلَى اعْتِبَارِ" أَنَّ الْعَرَبَ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى مُدُنِهِمْ إِلَّا فِي مَرْحَلَةِ الْغِيَابِ" [27،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ص192]، وَكَأَنَّ الشَّهِيدَ الْآخَرَ، هُوَ حَيَاةٌ لِلْآخَرِينَ، وَحَالَةُ عُبُورٍ بَيْنَ مَرْحَلَتَيْنِ، وَهَذَا الشَّهِيدُ يُحَاوِلُ أَنْ يُلِمَّ الْجُرْحَ الْعَرَبِيَّ، فَالْقُدْسُ وَحَّدَتْ فِينَا الْآلَامَ:

وَأَرَى سِرْبَ الْقَطَا الْمَذْبُوحِ فِي لَيْلِ الْجَزِيرَة
وَعَصَافِيرَ الْهَوَى الْمَجْرُوحِ حَوْلَ الْقُدْس
وَالْجُولَانَ وَالدِّلْتَا الْأَسِيرَة
وَأَنَا أَلْمَحُ قُطْعَانَ الْمَهَا الْمَطْعُونَةَ الْأَحْدَاق
فِي لُبْنَانَ، مَنْ يَجْتَثُّ حُزْنِي؟
مَنْ يَفُكُّ إِسَارَ غُزْلَانِ الْعِرَاقِ/ يُلِمُّ أَحْزَانَ الْعِرَاق
يَشْتَدُّ جُرْحُ النَّخْلِ فِي قَلْبِ الْعِرَاق. [11، ص484-485]

وَهُنَا تَكْمُنُ الصُّورَةُ الْإِبْدَاعِيَّةُ لِلْأَدِيبِ فِي التَّلَاعُبِ بِالْأَلْفَاظِ وَاللُّغَةِ، وَالْإِقْنَاعِ الْفَنِّيِّ بِجِدِّيَّةِ التَّجْرِبَةِ الشِّعْرِيَّةِ؛ لِذَلِكَ قَدْ تَتَوَلَّدُ الْمَدِينَةُ الْمُوحِشَةُ مِنْ مَدِينَةٍ حَافِلَةٍ فِي الْوَاقِعِ كَالْقُدْسِ، وَعَلَى عَكْسٍ، قَدْ تَتَوَلَّدُ الْمَدِينَةُ الشِّعْرِيَّةُ الْمُتَأَلِّقَةُ بِالْأَضْوَاءِ مِنْ مَدِينَةٍ أُطْفِئَتْ أَضْوَاؤُهَا فِي وَاقِعِ الْحَالِ [23، ص132]، كَالْعِرَاقِ، فَالْقُدْسُ تُمَثِّلُ صُورَةَ الْوَاقِعِ الْعَرَبِيِّ الْحَافِلِ بِالذِّكْرَيَاتِ وَالْأَحْدَاثِ، لَكِنَّ الْمَدِينَةَ الْمُتَأَلِّقَةَ (الْعِرَاق) تَحَوَّلَتْ إِلَى مَدِينَةٍ مُوحِشَةٍ (أَحْزَانِ الْعِرَاقِ، جُرْحِ النَّخْلِ)، إِذْ تَتَجَلَّى الْمَدِينَةُ بِالْقَدَرِ النَّمُوذَجِيِّ الَّذِي يَتَعَامَلُ مَعَهُ الْفَنَّانُ، فِي صِيَاغَةِ فَضَاءٍ مَدِينِيٍّ خَاصٍّ " إِذْ تَتَوَلَّدُ الْحَرَكَةُ مِنَ السُّكُونِ، وَالِاحْتِجَاجُ مِنَ الصَّمْتِ"[23، ص147]، فَالسُّكُونُ يُمَثِّلُهُ الْفَضَاءُ الْعَرَبِيُّ الصَّامِتُ، وَالْحَرَكَةُ تُمَثِّلُهَا الْقُدْسُ بِمَا فِيهَا، وَتَتَدَاخَلُ الْقُدْسُ مَعَ **بَابِل** فِي عَلَاقَةٍ تَوَحُّدِيَّةٍ:

مِنْ بَابِلَ تَتَصَاعَدُ الْأَلْوَاحُ/ نَحْوَ قِيَامَةِ الْمَوْتِ الْمَجِيد
مِنْ بَابِلَ تَرْقَى الْحِجَارَةُ/ نَحْوَ تَاجِ الْأُفُق
عَبْرَ سَوَاعِدِ النَّخْلِ الْعَتِيد/ مِنْ بَابِلَ بَدَأَ الْخَلِيل. [11، ص369]

تَتَحَدَّثُ الشَّاعِرَةُ عَنْ حَضَارَةِ الْعِرَاقِ الْمُتَمَثِّلَةِ بِـــ (بابل، وَسومر، وآشُور)، وَكُلُّهَا دَوَال وَرَدَتْ فِي شِعْرِهَا، وَتَرَى أَنَّ عَوْدَةَ الْعِرَاقِ قَادِمَةٌ، فَهِيَ تَسْتَحْضِرُ قِصَّةَ الْأَلْوَاحِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَارِيخِ الْعِرَاقِ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ، وَاضِعُ عِلْمِ الْعَرُوضِ الْعَرَبِيِّ، فَبَابِلُ مَوْطِنُ الْحَضَارَةِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ/ الْأَلْوَاح (نَبُوخَذْ نَصَّر) وَالْأَنْظِمَةِ (عَبْرَ سَوَاعِدِ النَّخْلِ الْعَتِيد)، تَتَحَرَّكُ الدَّوَالُ الشِّعْرِيَّةُ فِي انْسِجَامِ عَنَاصِرِهَا وَفَاعِلِيَّتِهَا فِي بَوْتَقَةِ النَّصِّ، نَحْوَ تَأْسِيسِ عَلَاقَةٍ اتِّحَادِيَّةٍ مَعَ الْمَكَانِ بِبُعْدَيْهِ : التَّارِيخِيِّ وَالْمُعَاصِرِ، مِنْ بَابِلَ وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دَلَالَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ، وَمَا تُثِيرُهُ فِينَا مِنَ الْحُزْنِ عَلَى الْعِرَاقِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، حِينَمَا كَانَتْ بَابِلُ مَكَانًا لِلْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الشَّاعِرَةَ قَدْ كَرَّرَتْ لَفْظَ بَابِلَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَضْلًا عَنْ عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ **(قصيدة بابل)** [11، ص369]، الَّذِي يُشَكِّلُ مُفْتَاحًا دَلَالِيًّا عَلَى أَهَمِّيَّتِهَا وَهِيَ" مُسْتَوْدَعُ الْإِنْجَازَاتِ الْحَضَارِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَالصِّنَاعِيَّةِ وَالتِّكْنُولُوجِيَّةِ" [23، ص132]، وَكَذَلِكَ يُشَكِّلُ دَالُ **النَّخْلِ** عَلَامَةً دَالَّةً عَلَى الْعِرَاقِ، إِذْ تَكَرَّرَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَهَذَا التَّكْرَارُ يُوحِي بِالثَّبَاتِ وَالتَّوَحُّدِ مَعَ الْأَرْضِ عَبْرَ الْجُذُورِ، فَالنَّخْلُ يُؤَدِّي ثُنَائِيَّةً دَلَالِيَّةً: الْجَمَالَ وَالثَّبَاتَ.

الخاتمة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تَفَاعَلَت الشَّاعِرَةُ بُشْرَى الْبُسْتَانِيّ، وَاقعِيًّا حُلُمِيًّا، مَعَ الْمَدِينَةِ، عَلَى وَفْقِ رُؤْيَتِهَا، وتَعَامُلِهَا مَعَهَا، وَكَذَلِكَ الظِّلَالُ الدَّلَالِيَّةُ الَّتِي تُوحِي بِهَا الْمُدُنُ فِي شِعْرِهَا عَبْرَ فَاعِلِيَّةِ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ؛ لذلك:

1. أَخَذَت الْمَدِينَةُ الْعِرَاقِيَّةُ، بِكُلِّ أَبْعَادِهَا الْجُغْرَافِيَّةِ وَالدَّلَالِيَّةِ حَيِّزًا شِعْرِيًّا كَبِيرًا، إِذْ حَضَرَتْ قَرَائِنُ دَالَّةٌ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَحْدَاثِهَا، شَكَّلَتْ رُؤْيَةُ الشَّاعِرَةِ لَهَا.
2. تَعَامَلَت الشَّاعِرَةُ مَعَ الْمَدِينَةِ، بِوَصْفِهَا مَبْعَثَ اعْتِزَازٍ وَافْتِخَارٍ، وَلَيْسَ مَبْعَثَ نُفُورٍ أَوْ عِدَاءٍ، فَالرُّؤْيَا الشِّعْرِيَّةُ كَانَتْ مَبْعَثَ الدَّلَالَةِ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهَا.
3. احْتَلَّت الْمَدِينَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِسَاحَةً وَاسِعَةً، وَمُتَنَوِّعَةً فِي شِعْرِهَا، فَهِيَ تُشَكِّلُ امْتِدَادًا حَضَارِيًّا وَوُجُودِيًّا لِلْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.
4. رُؤْيَةُ الشَّاعِرَةِ لِلْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ، هِي صُورَةٌ لِوَاقِعِ الْحَالِ، فَأَسْقَطَت الدَّلَالَاتِ الْحَاضِرَةِ عَلَى الْمَاضِي، عَبْرَ جَدَلِيَّةٍ ثُنَائِيَّةٍ (الْمَاضِي الْحَاضِرِ، وَكَذَلِكَ الْعَكْسِ)، فَتُشَكِّلُ الْمَدِينَةُ التَّارِيخِيَّةُ مَلَاذًا آمِنًا، وَهُرُوبًا مِنَ الْوَاقِعِ الْمَأْسَاوِيِّ سَوَاءٌ أَكَانَتْ هذه الْمَدِينَةُ دِينِيَّةً أَمْ تَارِيخِيَّةً.
5. لَمْ تَتَنَاوَلِ الشَّاعِرَةُ الْمَدِينَةُ بِوَصْفِهَا كِيَانًا مَادِّيًّا فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ نُقْطَةُ تَحَوُّلٍ فِكْرِيٍّ فِي الرُّؤْيَا فِي بَثِّ الْهُمُومِ وَالأَحْزَانِ، أَحْزَانِ عِرَاقِيَّةٍ، وَأَحْزَانِ عَرَبِيَّةٍ.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع:

[1] خير بك، كمال. (1986). حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، كمال خير بك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط (2).

[2] الشيخ، خليل (1995)، باريس في الشعر العربي الحديث، مجلة أبحاث، اليرموك، مجلد 13، العدد 2.

[3] رماني، إبراهيم. (1997). المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجاً، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط .

[4] ابن منظور، جمال الدين. (2003). لسان العرب، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع.

[5] الزبيدي، محمد. (1888ه). تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

[6] غيث، محمد. (1982). علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط.

[7] منصور، مناف. (1975). الإنسان وعالم المدينة في الشعر العربي الحديث، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط(1).

[8] عوض، السيد. (1997). سكان المدينة بين الزمان والمكان، السيد حنفي عوض، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د. ط.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[9] عباس، إحسان. (1987). اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط.

[10] قمحية، مفيد. (1981).الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط (1).

[11] البستاني، بشرى. (2012). الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (1).

[12] جعفر، عبد الكريم راضي. (1988). رماد الشعر – دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط (1).

[13] البرقوقي، عبد الرحمن. (2001). شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1).

[14] العلاق، علي جعفر. (1990). في حداثة النص الشعري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط (1).

[15] حمداوي، جميل. (1997). السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، مجلد 25، العدد 3.

[16] باشلار، جاستون. (1980). جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، كتاب الأقلام (1)، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د.ط .

[17] الجرجاني، عبد القاهر. (1987). دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية ود. فائز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط (2).

[18] غزوان، عناد. (2001). قلق النص وحرية الإبداع، مجلة آفاق عربية، العدد (7–8).

[19] أبو غالي، مختار. (1995). المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة (196)، الكويت، د. ط .

[20] إسماعيل، عز الدين. (1981). الشعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط3.

[21] عقاق، قادة. (2001). دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، منشورات اتحاد والكتاب العرب، دمشق، د. ط .

[22] حداد، علي. (1986). أثر التراث في الشعر العراقي المعاصر، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط (1).

[23] الربيعي، محمود. (1988). الشاعر والمدينة، عالم الفكر، مجلد 19، العدد 3.

[24] يوسفي، محمد. (1996). أسئلة الشعر – نداء الهوامش وفتنة المتخيل، مجلة بيت الشعر، العدد (1).

[25] الجاحظ، عمرو. (2015). كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، المكتبة العصرية، بيروت، ط (1).

[26] عثمان، اعتدال. (1988). إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، ط (1).

[27] بدوي، محمد. (1988). الشاعر والمدينة في العصر الحديث، عالم الفكر، مجلد 19، العدد 3.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq